”الحركة العلمية والثقافية في مدينة نابلس في القرن الثامن
الهجري“

إعداد: د. تقي الدين عبد الباسط التميمي

خلاصة البحث:

يعالج هذا البحث فترة زمنية محددة من القرن الثامن الهجري، التي تقرب من 1400-1300م ويقف عند الحركة العلمية والثقافية في مدينة نابلس في هذه الفترة بشكل عام، مع الحديث عن علماء هذه الفترة باعتبارهم نموذجاً للحركة العلمية في هذه الفترة، فقد وقف الباحث عند كتب مصادر التاريخ التي تحدثت عن المدينة في القرن الثامن، وكذلك أشهر العلماء والأعلام عبر الحديث عن أهم مؤلفاتهم في مباحث مختلفة، ووصف هذه المؤلفات أو المخطوطات إن كانت محققة تحقيقاً علمياً أو منشورة أو لم تحقق بعد، كما عالج البحث الحركة العلمية والثقافية في المدينة وارتباطها بالعائلات، أو المدارس أو الزوايا أو المساجد، فغدت حدود البحث في الأمور الآتية:

1. أهم مصادر كتب التاريخ ومراجعتها التي تحدثت عن مدينة نابلس في هذه الفترة.
2. أشهر العلماء والباحثين والمدرسين الذين عاشوا في مدينة نابلس في القرن الثامن.
3. أشهر الكتاب والكتب التاريخية التي كتبت عن مدينة نابلس في هذه الفترة الزمنية.
4. أشهر المؤلفات والمصنفات والكتب التي تم تأليفها في هذه الفترة الزمنية.
5. أهم المؤسسات التعليمية في مدينة نابلس في القرن الثامن الهجري، ابتداءً بالمساجد ثم المدارس والزوايا.
6. أهم العلوم الدينية واللغوية التي ظهرت في هذه الفترة، ولعل من أهمها: علم الفقه، والشعر والقراءات واللغة وغيرها.
7. بعض الدراسات الحديثة التي تحدثت عن مدينة نابلس في هذه الفترة.
8. الكتب المطبوعة أو المحققة، وأماكن وجود المخطوطات التي ألفت في هذه الفترة.

Summary of Research Results

My research was based on the Scientific and Cultural Movement in the City of Nabols which took place in the 17th Century. In particular, the focus was on the Books of the Word, The manuscripts were the results of scientific or published investigations, or studies that talked about this world. The research also addressed the scientific and cultural movement in the city and its relation to families, schools, mosques, and angels

Therefore, the research results were to explore the impact of this movement, such as find the most famous scientists, researchers and teachers who lived in the City of Nabols in the 17th Century, also known writers and books written about the historic city of Nabols in this time period, also most important religious and linguistic science that emerged in this period, and perhaps the most important science readings, poetry, language and literature and other, recent studies covering the city of Nablos in this period.

مقدمة

يستخلص من بطون الكتب التاريخية أن مدينة نابلس تبعت إداريا في أول العصر المملوكي نيابة القدس، فقد كانت تتبع القدس في هذه الفترة ثلاث ولايات، وهي: الخليل ونابلس والرملة، غير أن نابلس ظلت تابعة لنيابة القدس حتى نهاية العصر المملوكي، دون الرملة والخليل إذ لم تستقرا في تبعيتهما، فقد تبعتا نيابة القدس وغزة والشام في هذه الفترة، وقبل الشروع في الحديث عن الحركة العلمية في مدينة نابلس في هذا العصر نشير إلى الآتية:

1. استطاع المماليك الذين عرفوا بالقوة، أن يقضوا على تيار المغول، وأن يكملوا جلاء الإفرنج عن فلسطين، في هذه الفترة رغم الأزمات التي مرت فيها هذه الدولة.
2. تعد نابلس أكثر مدن فلسطين جمالا، وأهمها موقعا، كونها قائمة في الوادي الذي عرضه من نصف ميل إلى ميل كامل، بين جبلي السامرة العالين: عيبال وجرزيم، وسفوحهما تكسوهما الكروم وبساتين الزيتون، وتمتد من الشرق إلى الغرب، وهذه المرتفعات العالية جعلتها معرضة لهجمات الأعداء، وأهميتها قائمة على أراضيها الخصبة التي تحيط بنابلس، ولهذا اشتهرت هذه المدينة بتصدير الزيت وصناعة الزيتون، وكانت منتجاتها في هذه الفترة تصدر إلى دمشق وغيرها.
3. لا زالت الآثار المملوكية العمرانية جليّة في مدن فلسطين، ونابلس منها، ويتضح ذلك في تشييد القباب فوق الأسطح المختلفة للمساجد والمنازل، ولا زالت مدينة نابلس كغيرها من مدن فلسطين تعيش بعض العادات والتقاليد التي أدخلها المماليك للمدينة حيث تقديم الحلوى في الأعياد، وزيارة المقابر بعد صلاة العيدين، والاحتفال بختان الأطفال، والدعوات لتناول طعام الإفطار في رمضان، والدق على الطبول في ليالي الصيام، وإقامة بعض الاحتفالات الخاصة بالمولد النبوي الشريف، والاحتفال ببعض المواسم، مثل: موسم النبي صالح وموسى، ولا زالت هذه الزيارات مستمرة، وكذلك الأكل من ضيافة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهي ما تسمى بـ"التكية"، وهي عادة تدل على التضامن الاجتماعي مع الفقراء.
4. درج المؤرخون على تقسيم دولة المماليك إلى دولتين، وهما: دولة المماليك التركية، وتبدأ من 648هـ - 784هـ ودولة المماليك الشركسية، وتمتد من 784هـ - 922هـ.

تحديات البحث وعراقيله

1. إن الحديث عن مدينة نابلس حديث متشابك متداخل يصعب فصل مراحلها التاريخية أحيانا خصوصا، اعتمادها على أعلام كان لهم دور بارز، إذ يمكن أن يكون لهم ظهور قبل القرن الثامن الهجري، وأثروا في مجريات الحياة في القرن الثامن الهجري، وقد توفوا بعد هذا التاريخ، غير أن الباحث رصد الأحداث في هذه الفترة فقط.
2. صعوبة الفصل بين النهضة الثقافية في هذه المدينة عن غيرها من المدن الفلسطينية خاصة، والعالم الإسلامي عامة، لأن الأحداث تتداخل، خاصة فيما يتعلق بالتأليف والنهضة العلمية وغيرها.
3. عدم استقرار الأعلام والشخصيات والعلماء في مكان واحد، فحيثما يحل العالم فهي بلده، ولذلك تعد كثير من البلاد والأمصار الإسلامية في فترات التاريخ السابق هي أوطان للعلماء كافة دون استثناء.

4. صعوبة ضبط الأسماء، وهذا يظهر جليا بالتداخل بين الألقاب والصفات والكنى، مثال: شمس الدين، علم الدين، برهان الدين، فبعض المصادر تكتفي بذكر شمس الدين بن علم الدين مثلا.
5. تأخذ مدينة القدس الحيز الأكبر في هذه الفترة في مؤلفات القدماء، ثم تحل مدينة الخليل ثانيا، ولعل ما ألفه الحنبلي صاحب الأنس الجليل خير دليل على ذلك.
6. تصحيح الأخطاء لأعلام وضبط وفياتهم باعتبارهم ممن عاشوا في القرن الثامن، وأشرنا إلى ذلك في البحث، ولعل ذلك سهو من المحققين أو نتيجة أخطاء في الطباعة.
7. يتضح عبر استقراء كثير من الأبحاث التاريخية أو الأدبية حديثها عن فترة العصر المملوكي بشكل مجمل، أو دراسة ظاهرة معينة في هذا العصر دون تخصيص الحديث عن مدينة أو مكان معين.
8. لعل نابلس لم تأخذ حظها في هذه الفترة من دولة المماليك، فقد أولى السلاطين مدينتي القدس والخليل عناية خاصة، وأكثروا من زيارتهما في معظم المناسبات، وعملوا على إنشاء المرافق التعليمية والدينية والمعاشية فيها، وأوقفوا على هذه المرافق الأوقاف الكثيرة، دون ملاحظة أثر لذلك في مدينة نابلس.

أولا: مدينة نابلس في مصادر الكتب ومراجعتها في القرن الثامن الهجري

ورد اسم مدينة نابلس صراحة في مصادر كتب التاريخ والأدب ومراجعتها، وسيعمل الباحث على حصر ما ورد في المصادر التي ارتبطت في القرن الثامن الهجري تحديدا، أو المصادر الأخرى التي تخدم البحث، رغم ارتباط البحث في هذه الفترة الزمنية، وما يحيط فيها للأهمية المتعلقة في هذه الفترة، فقد ذكرها المؤرخ والجغرافي اليعقوبي بقوله: "مدينة قديمة ... وبها اختلاط من العرب والعجم"، وذكرها الرحالة محمد بن حوقل بقوله: "ليس بفلسطين بلدة فيها ماء جار سواها، وباقي ذلك شرب أهله من المطر، وزرعهم عليه، وبها البئر التي حفرها يعقوب"، وتحدث عنها المقدسي بقوله عنها: "نابلس في الجبال، كثيرة الزيتون يسمونها دمشق الصغرى، وهي في واد قد ضغطها جبلان، سوقها من الباب إلى الباب، وآخر إلى نصف البلد، والجامع في وسطها، مبلطة، نظيفة، لها نهر جار، بناؤهم حجارة، ولها دواميس عجيبه"، وزار نابلس أبو بكر بن العربي في العهد السلجوقي، وكانت بلدا صغيرا، وقد أثنى على نساؤها ثناء عطرًا، وذلك في تفسير قول الحق - سبحانه - "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ"، فقال: "ولقد دخلت نيفا على ألف قرية من برية، فما رأيت أصون عيالا ولا أعف نساء من نساء نابلس، فإني أقمت فيها أشهرًا فما رأيت امرأة في طريق بها نهارا إلا يوم الجمعة، فإنهن يخرجن حتى يمتلئ المسجد منهن، فإذا قضيت الصلاة وانقلبن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى، وسائر القرى ترى نساؤها متبرجات بزينة وعطلة، متفرقات على كل فتن وعضلة، وقد رأيت بالمسجد الأقصى عفاف ما خرجن من معتكفهن حتى استشهدن فيه"، وذكرها الهروي في كتابه الإشارات إلى معرفة الزيارات، وقد زار نابلس في القرن الثالث عشر الميلادي، بركارد الراهب الدومنيكاني الألماني وذكرها بقوله: "تقع نابلس بين جبلين وهي جميلة، مليئة بالخيرات، لكنها ليست محصنة، ولا يمكن أن تحصن، وكل ما يستطيع أهلها أن يفعلوه إذا هاجمهم الأعداء من باب، أن يهربوا من الباب الآخر"، وذكرها سائح ثان بقوله: "لا يمكن تحصينها لأنه من السهل رمي الحجارة من الجبال داخلها، ولا فائدة من التحصين"، وتحدث عنها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، وذكر قصة

طريقة في أصل كلمة نابلس ونصها: سئل شيخ من أهل المعرفة من أهل نابلس، لم سميت بذلك؟ فقال إنه كان هنا واد فيه حية قد امتنعت فيه، وكانت عظيمة جداً، وكانوا يسمونها بلغتهم ”لس“، فاحتالوا عليها حتى قتلوها وانزعوها نابها، وجاءوا بها فعلقوها على باب هذه المدينة فليل هذا ”ناب لس“ أي ناب الحية، ثم كثر استعمالها حتى كتبها متصلة بنابلس هكذا، وغلب هذا الاسم عليها، وتحدث عنها كذلك بقوله: ”مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها، كثيرة المياه لأنها لصيقة في جبل، أرضها حجر، ولها كورة واسعة وعمل جليل كله في الجبل الذي فيه القدس، وبظاهر نابلس جبل ذكروا أن آدم عليه السلام، سجد فيه، وبها الجبل الذي تعتقد اليهود أن الذبح كان عليه، وعندهم أن الذبيح إسحاق عليه السلام، ولليهود في هذا الجبل اعتقاد أعظم ما يكون، واسمه ”كزيرم“، وهو مذكور في التوراة، والسمرية تصلي إليه، وبه عين تحت كهف يعظمونها ويزورها السمرية، ولأجل ذلك كثرت السمرية بهذه المدينة“، وذكر الحموي مجموعة من العلماء والمشهورين الذين ينتسبون إلى نابلس، واستشهد بشعر ينسب لأبي بكر النابلسي، وفيه:

وأوعديني بقرب الانتصار

وقال انعم بعيش في جواربي

حباني مالكي بدوام عزّ

وقرّيني وأدنياني إليه

كما ذكرها القزويني، وهو صاحب كتاب ”آثار البلاد وأخبار العباد“، وذكرها البلاذري في فتوح البلدان، بقوله: ”توغلت جيوش عمرو بن العاص بعد أن تم لها فتح غزة وجوارها في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في الديار النابلسية فتحت سبسطية ونابلس بعد أن أمن القائد المذكور أهليهما على أنفسهم وأموالهم، على أن يدفعوا الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم“، ونقل الدباغ عن صاحب كتاب: ”نخبة الدهر في عجائب البر والبحر“ بقوله: ”ومدينة نابلس مدينة خصبة نزهة بين جبلين متسعة ما بينهما ذات أمياه جارية وحمامات طيبة وجامع حسن تقام فيه الصلوات، وتكثر قراءة القرآن به ليلاً ونهاراً، والاشتغال فيه كثير، وهي كأنها قصر في بستان قد خصها الله تبارك تعالي بالشجرة المباركة وهي الزيتون ويحمل زيتها إلى الديار المصرية والشامية وإلى الحجاز والبراري مع العربان ويحمل إلى جامع بني أمية منه في كل سنة ألف قنطار بالدمشقي، ويعمل فيه الصابون الرقي يحمل إلى سائر البلاد الذي ذكرنا، وإلى جزائر البحر الرومي ولها البطيخ الأصفر الزائد الحلاوة على جميع بطيخ الأرض ولها الجبلان وهما طور زيتا، وإليهما حج السامرة وقربانهم على الطور يذبحون الخرفان ويحرقون لحومها، ولا يوجد في بلد من البلدان من السامرة ما يوجد منهم بها، ويقولون إنهم لا يبلغون في بلد منهم الألف أصلاً، ويقال إنه إذا اجتمع في طريق مسلم ويهودي وسامري ونصراني رافق السامري المسلم“، كما تحدث عنها النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون العرب، وذكرها صفي الدين بن عبد المؤمن، وهو صاحب كتاب مرصد الاطلاع، بقوله: ”نابلس بضم الباء الموحدة واللام، مدينة مشهورة بأرض فلسطين، بين جبلين، مستطيلة، لا عرض لها، كثيرة المياه، نظيفة، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ“، ووصفها العمري، بقوله: ”مدينة يحتاج إليها ولا تحتاج إلى غيرها“، وزارها ابن بطوطة نابلس سنة 725هـ وذكرها بقوله: ”ثم خرجت منها ”الرملة“ إلى مدينة نابلس، وهي مدينة عظيمة كثيرة الأشجار مطردة الأنهار من أكثر بلاد الشام زيتوتاً ومنها يحمل الزيت إلى مصر ودمشق، وبها تصنع حلواء الخروب وتجلب إلى دمشق وغيرها، وتحدث عن كيفية صناعتها- وبها البطيخ المنسوب إليها وهو طيب عجيب، والمسجد الجامع في نهاية من الإتقان والحسن

في وسطه بركة ماء عذب“، وذكرها كذلك القلقشندي في صبح الأعشى، وقدم الحنبلي معلومات هامة عن نابلس في كتابه: الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، فقد تحدث في كتابه عنها وعن شيوخها وقضاتها وزواياها ومساجدها وغير ذلك، ومن ذلك قوله: ”نابلس مدينة بالأرض المقدسة مقابل بيت المقدس من جهة الشمال، خرج منها كثير من العلماء والأعيان، وهي كثيرة الأعين والأشجار والفواكه، ومعظم الأشجار بضواحيها الزيتون وبها كثير من السامرة فإنهم يعتقدون أن القدس جبل نابلس كذبوا وخلفوا جميع الأمم في ذلك...ومدينة نابلس وبضواحيها مشاهد كثيرة تنسب إلى جماعة من الأنبياء عليهم السلام“، وذكر الحديث الشريف: الذي رواه المشرف بسنده عن كعب، قال: أحب البلاد إلى الله الشام وأحب الشام إلى الله تعالى القدس، وأحب القدس إلى الله تعالى جبل نابلس، ليأتين على الناس زمان يتماسحونه بالحبال بينهم، وأبدع الشيخ عبد الغني النابلسي في وصفه الدقيق للمدينة وضواحيها في كتابه: الحقيقة والمجاز، ونظم عشرات الأبيات من الشعر فيها.

ثانياً: أعلام بارزة في مدينة نابلس في القرن الثامن الهجري

- سيقف الباحث على مجموعة من الأعلام الذين وجدوا في هذه الفترة، وكان دورهم ظاهراً في النهضة الفكرية والعلمية، وفي الحركة العلمية والثقافية، وقد تم ترتيبها وفق الحروف الهجائية:
1. إبراهيم بن عبد الحافظ بن عبد الحميد بن محمد، أبو إسحق النابلسي الحنبلي، فهم الفقه والعربية، وكان عالماً، ونظم الشعر، ومات سنة 718 هـ عن سبعين سنة.
 2. إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم النابلسي الحنبلي، ولقبه برهان الدين، قاضي القضاة، كان فقيهاً متقناً للفرائض، وناب عن قاضي القضاة شمس الدين أبي عبد الله البدر محمد النابلسي، توفي سنة 803 هـ بدمشق وقد ناهز الستين.
 3. أحمد بن محمد بن عثمان بن عمر بن عبد الله النابلسي نزيل غزة، ويعرف بابن عثمان الخليلي، كان ديباً صالحاً فاضلاً منقطعاً بمسجده الذي بناه بغزة، وله شهرة في الصلاح والخير، جاور بمكة المكرمة وبها توفي سنة 805 هـ وله اثنتان وسبعون سنة، ومن كتبه: القول الحسن في بعث معاذ إلى اليمن، وتحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد.
 4. أحمد بن محمد بن يحيى بن نحلة المعروف بسبط السلعوس شيخ القراء، شهاب الدين أبو العباس النابلسي ولد سنة 687 هـ درس بدمشق والقاهرة، ثم قرأ القراءات على الجعبري بالخليل وعلى ابن جبارة بالقدس وغيرهم، مات ببستانه في ”بيت لهيا“ من أعمال دمشق سنة 732 هـ وشيخه خلق كثير وكان ساكناً وقوراً وأستاذاً ماهراً وورعاً صالحاً.
 5. أحمد بن مظفر بن مظهر النابلسي الكاتب المشهور، ولي استيفاء الديوان بدمشق في أوائل الدولة المظفرية فُطِر، ومات سنة 703 هـ.
 6. أحمد بن مظفر بن أبي محمد بن مظفر بن بدر بن حسن بن مفرج بن بكار النابلسي الشيخ شهاب الدين أبو العباس، ولد سنة 674 أو سنة 675 هـ محدث فاضل، كان يحب الانفراد والابتعاد عن الناس، وكان يقول: اشتي أن أموت وأنا ساجد، فأعطاه الله ما تمنى، وذلك أنه دخل بيته وأغلق بابه، وفقد ثلاثة أيام فدخلوا عليه فوجده ميتاً وهو ساجد وذلك في شهر ربيع الأول سنة 758 هـ وله تأليف.

7. إسماعيل بن خليفة بن خليفة بن عبد العال النابلسي الشافعي العلامة أبو الفداء عماد الدين، وأحد أئمة المذهب الشافعي والمشار إليهم بجودة النظر وصحة الفهم وفقه النفس والذكاء وحسن المناظرة والبحث، توفي في دمشق سنة 778 هـ.
8. أيوب بن نعمة بن محمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر النابلسي، أبو الشكر زين الدين، ولد سنة 640 هـ واشتهر بفقهه وطبه الذي برع فيه وتميز وتكسب به سبعين سنة، وأقام في دمشق مدة، وتوفي في ذي الحجة من سنة 730 هـ.
9. الحسن بن محمد بن صالح بن محمد بن عبد المحسن بن علي بن المجاور، ابن عبد الله القرشي المطلبي بدر الدين النابلسي، درس في أول أمره بنابلس ثم بمصر ودمشق وولي إفتاء دار العدل بمصر وله تأليف كثيرة، ومنها: الغيث السكاب في أرخاء الذواب، وشرح للحمحة في العربية، وقال عنه ابن حجر: "رأيت بخطه كتابا جمعه في أخبار المهدي الذي يخرج في آخر الزمان"، توفي عام 772 هـ.
10. أبو السعادات بن محمد بن عبد الله بن سعد النابلسي الحنفي، كان إماما علامة وشيخ مذهب النعمان في زمانه، وتوفي سنة 867 هـ عن نحو مائة سنة.
11. سعيد بن فلاح بن أبي الوحشة سعيد بن محمد بن سعيد بن عبد المؤمن بن سرور النابلسي الجعفري، متصوف صالح وعالم محدث، ولد سنة 658 هـ تقريبا بقرية من قرى نابلس، وكان من أهل القرآن، ومات عام 743 هـ.
12. سليمان بن أحمد بن سليمان بن عبد الرحمن القاضي الحنبلي الكتاني العسقلاني ثم المصري، علم الدين، قدم من بلدة نابلس صغيراً، ودرس في القاهرة فبرع في المذهب الحنبلي، وولي نيابة الحكم في مصر، وارتقى إلى أن صار أكبر النواب، وتوفي سنة 785 هـ.
13. شهود بنت عبد القادر بن عثمان الحنبلي، ومن العالمات بنابلس ومن نساء القرن الثامن.
14. عبد القادر بن أبي عبد الله محمد، ولقبه: شرف الدين أبو حاتم، وكان من أهل العلم، وتولى قضاء دمشق في حياة والده محمد بن عبد القادر اللاحق ذكره، وتوفي فيها سنة 793 هـ.
15. عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور النابلسي الحنبلي، شمس الدين، ولد سنة 649 هـ ومات سنة 737 هـ وكان حسن السمة فصيح العبارة، كثير العبادة والتلاوة، منقطعاً عن الناس، أم مسجد الحنابلة نحو سبعين سنة، وكان شيخ الحنابلة بنابلس، وجده هو يوسف بن عبد المنعم المتوفى سنة 638 هـ وهو من العائلة التي عرفت باسم الجعفري.
16. علي بن سليم بن ربيعة الأذرعي الشافعي، ضياء الدين أبو الحسن، ولد بنابلس سنة 640 هـ وتوفي بالرملة سنة 731 هـ وكان قاضياً ستين سنة، وولي قضاء عجلون، ونظم كتاب: "التنبيه في الفقيه" فبلغ ستة عشر ألف بيت، وله أرجال وموشحات.
17. علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة ابن سلطان بن سرور النابلسي الحنبلي، ولقبه: الإمام فخر الدين أبو الحسن، أخو شهاب الدين أحمد، ولد سنة 623 هـ وقيل سنة 630 بنابلس، اشتغل بالتدريس والإفتاء، وأفتى بنابلس مدة أربعين سنة، وعرف بصلاحه وورعه، وتواضعه مات في محرم سنة 702 هـ بنابلس.

18. علي بن محمد بن إبراهيم البرهان، أبو الحسن الجعفري النابلسي الحنبلي، ويعرف بابن العفيف، ولد سنة 752 هـ، درس الفقه على شيوخ زمانه، وولي قضاء نابلس وكان من أئمة الحديث، وينظم الشعر، وتوفي في نابلس سنة 818 هـ.
19. عمر بن عبد الرحيم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر، أبو حفص الزهري القرشي عماد الدين النابلسي، ولد سنة 670 هـ تفقه بدمشق وأذن له بالفتوى، وولي خطابه القدس مدة وقضاء نابلس معها، ثم ولي قضاء القدس في آخر عمره، شرح صحيح مسلم في مجلدات، توفي بالقدس سنة 734 هـ، ويرجح أنه هو الذي صادفه ابن بطوطة في رحلته للقدس سنة 725 هـ، وذكره ابن بعض فضلائها.
20. محمد بن إبراهيم بن محمد النابلسي الشافعي، الرئيس فتح الدين أبو الفتح بن الشهيد، ولد سنة 728 هـ تفقه وبرع في الأدب، واشتهر في النظم والنثر، وأقام في دمشق وصار فيها رئيساً لديوان الإنشاء، وولي مع ذلك مشيخة الشيوخ، نظم السيرة النبوية من عدة كتب في ثلاث مجلدات في بضع عشرة ألف بيت، وسماه: الفتح القريب في سيرة الحبيب، دل على سعة باعه، مات بالقاهرة سنة 793 هـ.
21. محمد بن عبد القادر بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد المنعم الجعفري النابلسي أبو عبد الله، شمس الدين شيخ نابلس، تتلمذ على والدته "مريم" التالي ذكرها، وهو إمام وعلامة، وانتهت إليه مشيخة العلم والقراءة في بلاده، وكان يلقب بالجنة، لأن لديه من العلم ما تشتهيئه الأنفس، درس وأفتى، ولد بنابلس سنة 727 هـ وأصيب بولده شرف الدين عبد القادر قاضي الحنابلة بدمشق، وتوفي في بلده سنة 795 هـ وله مؤلفات حسنة.
22. محمد بن عبد القادر بن محمد الجعفري النابلسي الحنبلي، الملقب ببدر الدين أبو عبد الله، ولد في سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة في نابلس، ودرس في نابلس واشتغل بالعلم، وبأشر القضاء بنابلس وولي نيابة الحكم بالديار المصرية، وكان حسن السيرة مهيباً عند الناس عليه الأبهة والوقار، ونورانية العلم والتقوى وعمر ورزق الأولاد، وتوفي بنابلس سنة 881 هـ.
23. مريم بنت عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر النابلسية وتدعى "قضاة" وهي حنبلية، ولدت سنة 691 هـ حدثت، وماتت بنابلس سنة 758 هـ وهي والدة شمس الدين محمد بن عبد القادر السابق الذي تتلمذ عليها.
24. مي ابنة يوسف بن محمد بن صالح، أم إسماعيل ابنة الجمال القرشي النابلسي الصالحي الشافعي من العالمات، ولدت سنة 794 هـ وماتت سنة 866 هـ.
25. يحيى بن أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر حسين بن حماد محيي الدين، أبو زكريا، أخو العلامة شرف الدين النابلسي خطيب الشام، ولد سنة 630 هـ، وكان موصوفاً بالخير والدين، وكان شيخاً فقيهاً عارفاً بالمذاهب حسن الأخلاق، ومات سنة 716 هـ، وشقيقه هو أحمد بن أحمد بن نعمة، المتوفى سنة 674 هـ وقد ولي التدريس والخطابة في الجامع الأموي.
26. يحيى بن مكي بن عبد الرزاق، خطيب عقرباء، إحدى قرى نابلس المعروفة، وسمع منه الذهبي، وتوفي سنة 724 هـ.

2. جماعين:

وتقع إلى الجنوب الغربي من مدينة نابلس وتبعد عنها ستة عشر كيلومترا، جماعين بالنون وقيل باللام، وهي كما يقال محورة من جما إيل أي عين الإله بالآرامية، ويقال إن سبب تسميتها كونها مكان اجتماع العلماء، قال عنها الحموي: "هي قرية من جبل نابلس من أرض فلسطين"، وذكرها الدباغ بقوله: "ذكرتها المصادر العربية باسم "جَمَاعيل" وهو خطأ، وصحيحها كما يلفظ أهلها "جَمَاعين" لكثرة ما ظهر فيها وفي جوارها من "جَمَاعين"، وقد ظهر من هذه القرية مجموعة من العلماء في هذه الفترة، العلماء، ولعل منهم "آل قدامة" الذين هاجروا من فلسطين إلى دمشق، أثناء الاحتلال الصليبي لأرض فلسطين من منتصف القرن الخامس الهجري، وحتى نهاية القرن السادس الهجري، واستقروا في منطقة الصالحية، وخدموا القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه الحنبلي خاصة، وقد تم بناء المدرسة العمرية وجامع الحنابلة في الصالحية على جبل قاسيون، كما نسبت إليها مجموعة القرى المجاورة وكانت تعرف باسم الجماعينيات وهي تسع وعشرين قرية، كانت تخضع لجماعين، وأهم الأعلام في هذه الفترة:

1. سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن قدامة، أبو الفضل تقي الدين، كان قاضي الحنابلة بدمشق، وجمع بين العلم والعبادة، وله معجم في مجلدين، وكتاب الأحكام في ثمانية مجلدات، والمحرز من الحديث، وتوفي سنة 715هـ بدمشق.

2. محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن العماد، شمس الدين أبو عبد الله، وهو فقيه ومقرئ ونحوي، قال عنه الصفدي: "لو عاش لكان إماما، كنت إذا لقيته سألته عن مسائل أدبية وفوائد عربية فينحدر كالسيل، وله تأليف كثيرة، وتوفي سنة 744هـ بدمشق.

ولعل "آل قدامة" الذين انحدروا من صلب هؤلاء العلماء وغيرهم، كان لهم فضل على خدمة مذهب الحنابلة، وقد انتقل جدهم الشيخ أحمد وعائلته إلى دمشق من هذه القرى النابلسية، وعرفوا فيما بعد باسم "آل النابلسي" ومنهم الشيخ عبد الغني النابلسي الرحالة المشهور الذي مر بديار أجداده، ووصفها في رحلته المشهورة.

خامسا: المؤسسات التعليمية في مدينة نابلس في القرن الثامن الهجري

مقدمة: عبر اطلاعنا على مصادر كتب التاريخ ومراجعها، والدراسات التي أجريت على مدينة نابلس في هذه الفترة، لم نعثر على مؤسسات تعليمية كثيرة في هذه الفترة، كما ركزت المصادر التي تحدثت عن هذا الجانب على مدينتي القدس والخليل، مقارنة بنابلس، ولعل ظهور علماء بارزين في المدن الفلسطينية الأخرى كالعالم برهان الدين الجعبري الذي عاش في هذه الفترة، وزادت مؤلفاته عن مائة وخمسين مخطوطا خير شاهد على ذلك، لذلك لم تحظ مدينة نابلس باهتمام المماليك في هذا القرن مقارنة ما حظيت به مدينتا القدس والخليل، حيث قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، 693هـ-741هـ بمجموعة من الأعمال في مدينة الخليل، حين جرّ الأمير سنجر الجاولي في عام 713هـ عين ماء إلى الخليل، وعمّر بالحرم الإبراهيمي الشريف عمائر حسنة، وجعل عليها أوقافا، كما عهد إليه تعمير هذا المسجد، وعمل دكة المؤذنين، وهي تقابل الحرم، وأقيمت سنة 732هـ على عمد من الرخام، وذكرها صاحب الأوس الجليل، وتعمير قبة الغار الشريف، ونقش عليها أحرف تظهر السلطان قلاوون ودوره في بنائها، وكذلك

بركة القزازين، وهي حوض بالقرب من بئر معين وسبيلا، وبنى فوقها مسجد القزازين بالمدينة، وأما السلطان الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن، 755هـ-763هـ ومن آثاره في المدينة إقامته مدرسة في القلعة الواقعة بالقرب من الحرم الإبراهيمي الشريف، وبقيت كذلك إلى أن تحولت إلى مساكن لبعض أهل البلد في القرن التاسع الهجري.

وأما بالنسبة للسلطين الآخرين في هذه الفترة فقد كان دورهم هامشيا ومحدودا في هاتين المدينتين لأسباب وعلل ليس هنا مكانها، وأما الملك الظاهر سيف الدين "برقوق" العثماني، 784هـ - 801هـ وفي عهده تولى الأمير شهاب الدين أحمد اليعموري نيابة السلطنة، ونظارة الحرمين الشريفين بالقدس والخليل، وقد قام بأعمال ترميم في الحرم الإبراهيمي الشريف، وفتح الأبواب والشبابيك اللازمة، وأبطل المكوس والمظالم التي أحدثها من كان قبله، وعمر الأروقة، ومقام النبي يوسف، ورتب قراء للقراءات السبع.

المساجد

يعد المسجد مؤسسة تربوية وتعليمية منذ إنشاؤه على زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت تعقد فيه حلقات التدريس ومجالس العلم، وقد جمعت المساجد في هذه الفترة تدريس العلوم الدينية المعروفة، كالفقه والقرآن وعلومه والأحاديث، إضافة إلى تدريس علوم اللغة العربية، كالنحو والصرف والشعر، ولم نعثر في هذه الفترة على مساجد أخذت هذا الدور سوى جامع الخضراء الواقع في حي الياسمينية، بالقرب من عين العسل، وقد تم تعميره أيام السلطان المنصور السابق ذكره، بالإضافة إلى مسجد الحنبلي، الذي سمي بذلك نسبة إلى الحنابلة الذين تولوا الإمامة فيه، وكان هذا المسجد بجوار سوق الخضار، وهو من المساجد القديمة بنابلس، وكان يتم فيه تدريس الفقه، وذكره الحنبلي باسم الجامع الغربي، وثالث هذه المساجد هو الجامع الكبير، ويقع في القسم الشرقي من المدينة، وهو أكبر مساجد نابلس وأشهرها، وما وقع بين يد الباحث من وثائق يشير إلى تولي علماء إمامته في القرن التاسع للهجرة، وذكر إحسان نمر أن الملك الناصر بن قلاوون قد حوله إلى مدرستين، وبنى مدرستين من الجهة الجنوبية، وبنى المدارس الأربع في السوق المعروف بخان التجار، وأوقف عليها كثيرا من الأملاك، وجعل التدريس في كل مدرسة من هذه المدارس الأربع خاصة بأحد المذاهب، الشافعي "دين الدولة"، والحنبلي "مذهب العراقيين"، والحنفي "مذهب السوريين"، والمالكي "مذهب المغارب"، وذكر ان عددا كبيرا من العلماء قد تخرجوا منها.

المدارس:

عُرِفَ النابلسيون منذ القديم بحبهم للعلم، كما اشتهر أبناء نابلس بذكائهم وفطنتهم، والمدارس التي عرفت في هذه الفترة محدودة في عددها أقامها السلاطين أو أصحاب الخيرات لتدريس القرآن الكريم والدين الإسلامي، أو كتاتيب لتدريس القرآن والقراءات القرآنية، غير أن المتتبع في هذه الفترة لم يلحظ تأسيس مدارس بالمعنى المعروف اليوم في هذه الفترة إلا في النصف الثاني من القرن الماضي، ومع ذلك لم تحظ مدينة نابلس بمدارس كما اشتهرت به نظيراتها من المدن الفلسطينية كالخليل والقدس، حيث عرفت الخليل مدارس في هذه الفترة أنشأها السلاطين المماليك، ومنها: مدرسة السلطان حسن، وكانت

في الأصل جزءاً من القلعة، التي تقع على الجدار الغربي للمسجد الإبراهيمي، وقد أوقفها الملك الناصر حسن، وجعلها مدرسة، ثم أصبحت مساكن لأهل المدينة، وكذلك: المدرسة الفخرية التي تنسب لبانيها، وهو: القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله، ناظر الجيوش المملوكية، المتوفى سنة 732هـ والمدرسة القيمرية، بجانب باب المسجد الشمالي، بالقرب من عين الطواشي التي تقع على باب المسجد الشمالي بالقرب من السوق، وتعرف أيضاً بدار بدير، وهي محتلة في الوقت الحاضر من المستوطنين، وقاموا بتحويلها إلى مدرسة دينية يهودية، كما استبدلوا الواجهة الأثرية الجنوبية للمدرسة بواجهة حديدية خالفت في طابعها الطابع المعماري الإسلامي، ومع ذلك فقد ذكرت المصادر المدارس الستة في مدينة نابلس في هذه الفترة، وهي: مدرسة العماد عبد الحافظ بن بدران المتوفى سنة 698هـ وقد عرفت بعد ذلك باسم مدرسة الشيخ بدران وظلت بنائها تستعمل كمدرسة حتى زمن قريب، ومدرسة القاضي الرئيس فخر الدين التوفى عام 732هـ.

الزوايا

وهي أماكن دينية انتشرت في العصر المملوكي، واهتم بها السلاطين المماليك في هذه الفترة، وكان الهدف من إقامتها هو الانقطاع إلى العبادة، وارتبطت الزوايا بأسماء أشخاص عرفوا بالصلاح والتقوى والعبادة، ويجتمع حولهم التلاميذ للتعلم، ومن هذه الزوايا في هذه الفترة: زاوية القدم، وقبة السبيل، وزاوية بشر الحافي وزاوية الدرويشية، وغيرها، ولم يعثر الباحث على دور علمي أو ثقافي لهذه الزوايا في هذه الفترة في مدينة نابلس.

التوصيات والتأج

1. لوحظ استقرار نابلس السياسي في هذه الفترة بعد صراع سابق مع الصليبيين من ناحية، والتتار من ناحية أخرى.
2. أولى سلاطين المماليك مدينتي الخليل والقدس عناية خاصة، وأكثرها من زيارتها في معظم المناسبات، وعملوا على إنشاء المرافق التعليمية والدينية والمعاشية فيها، وأوقفوا على هذه المرافق الأوقاف الكثيرة، دون ملاحظة اثر لذلك في مدينة نابلس.
3. يستطيع الباحثون الوقوف عند أحداث المدينة في القرن التاسع الهجري، وغيرها من القرون، حيث كان للماليك الشراكسة دور ميز في فلسطين، ومنهم: فرج بن الظاهر سيف الدين، والمملك الظاهر جقمق العلاني، وغيرها.
4. ويمال كذلك إلى دراسة الوجه الثقافي والعلمي دراسة أفقية، وأما فيما يتعلق بالأعلام فيمكن دراستها دراسة رأسية.
5. يمكن إجراء دراسة مستقلة عن أعلام وجد لهم دور في القرن التاسع الهجري، ولعل منهم: عبد الرحمن علي بن إسحق التميمي الداري، المتوفى سنة: 803هـ فقد ألف مجموعة من الكتب، والشيخ حسن البوريني المتوفى سنة 1024هـ صاحب العديد من المؤلفات.
6. لعل التاريخ زاخر بأعلام انتسبوا إلى مدينة نابلس قبل هذه الفترة، أو بعدها، ومنهم الشاعر النابلسي الضير المتوفى سنة 370هـ.
7. ذكرت نابلس في هذه الفترة في مصادر كتب التاريخ ومراجعها، ويتضح ذلك عبر عشرات مصادر كتب التاريخ التي تحدثت عنها، ووصفت جغرافيتها.
8. خرجت مدينة نابلس عشرات العلماء الذين انتشروا في البلاد الإسلامية واستقروا فيها، ولا يزال اسمهم محفوظا في كتب القدماء.
9. ذكر الباحث في سياق البحث العديد من الكتب لعلماء من نابلس، فيستطيع الدارسون الوقوف عندها، وتحقيها تحقيقا علميا، إذ لا زالت مخطوطاتهم في فهارس دوائر المخطوطات في العالم.

المصادر والمراجع

1. إحسان نمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، مطبعة ابن زيدون، دمشق، 1357هـ/1938م.
2. ابن بطوطة، ت 779، محمد بن عبد الرحمن، تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرح: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 2، 1413م-1992هـ.
3. البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، ت 739هـ مراد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبياع، تحقيق: علي الجاوي، ج. 3، دار المعرفة، بيروت، 1374م-1955هـ.
4. البلاذري، أحمد بن يحيى بن، جابر، ت 727هـ، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله وعمر الضباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1470م-1987هـ.
5. بيان نويهض الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحجارة، دار الاستقلال، بيروت، لبنان، 1991م.
6. ابن حجر العسقلاني، ت 825هـ أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، د. ط. 1، 1986.
7. الحموي، ت 626هـ ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1986.
8. حنا عماري، قاموس العشائر في الأردن وفلسطين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ط. 1، 2001م.
9. الحنبلي، ت 927هـ مجير الدين، الأئمة الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: محمد كعابنة، وعدنان أبو تيانة، مكتبة ندديس، الخليل، ط. 2، 2009م-1430هـ.
10. الخليل القديمة، سحر مدينة وعمارة تاريخية، تأليف مجموعة من الباحثين، تحرير: نظمي الجعبة، ط. 1، فلسطين، 2008م.
11. الذهبي، محمد بن أحمد، (ت 748هـ)، تذكرة الحفاظ، ج. 4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط.)، (د. ط.).
12. الذهبي، محمد بن أحمد، (ت 748هـ)، شذرات الذهب، تحقيق: ، دار ، ط. 9.
13. الذهبي، محمد بن أحمد، (ت 748هـ)، معرفة القراء الكبار، تحقيق: محمد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، ط. 1، 1969م.
14. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للنائين، بيروت، ط. 11، 1995م.
15. زيادة نقولا، رواد الشرق العربي، ط. 1، 1943م-1362هـ.
16. السبكي، أبو نصر عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، دار المعرفة، بيروت، ج. 5، ط. 2، د. ط.
17. السخاوي، شمس الدين، ت 902، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الكتب العلمية، بيروت، ضبط وتصحيح: عبد اللطيف حسن، ط. 1، 2003م-1424هـ.
18. سعيد ابو صافي، مدينة الخليل في العصر المملوكي، مكتبة ندديس الإسلامية، الخليل، ط. 1، 2002م-1422هـ.
19. السيوطي، جلال الدين، ت 911، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج. 2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة: عيسى الحلبي، 1965هـ-1384م.
20. عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم: أحمد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1896م.
21. عدنان أبو دية، الزوايا الصوفية في مدينة الخليل في العهد المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة القدس، 1421هـ 2000م.
22. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، ت 1089، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ، 1986م.
23. القلقشندي، أحمد بن علي، ت 821، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، مطبعة كوستاتسوماس، د. ط.
24. الكتبي، محمد شاكر، ت 764هـ فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ط. د. ط.
25. مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الثاني، القسم الثاني، دار الهدى، كفر قرع، 1991م.
26. المقدسي، محمد بن أحمد البشاري، ت 380هـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن 1906.
27. المقريزي، أحمد بن علي، ت 845هـ السلوك لمعرفة دول الملوك، ج. 2-3، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1418هـ 1997م.
28. الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، بيروت، ط. 1، 1990.
29. موسوعة المدن الفلسطينية، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، 1996م.
30. النويري، أحمد بن عبد الوهاب، ت 732هـ نهاية الأرب في فنون العرب، د. ط.
31. اليافعي، عبد الله، (ت 768هـ)، مرآة الجنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط. 2، 1970م-1390هـ.
32. <http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=96575>
33. <http://ar.wikipedia.org/wiki>
34. <http://abedkhattar.com/abedkhattar/palestine/book3-3.htm>
35. <http://ar.wikipedia.org/wiki>